دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform

المجلد: 05 العدد: 01.**(2020)** **ص 85/79**

الصناعات التقليدية ورهانات تطور القطاع السياحي في العالم العربي مدينة فاس أنموذجا

Traditional industries and the stakes in the development of the tourism sector in the Arab world, the city of Fez as a model

صابر هنان[1]، بن ساحة عبد الله[2]

[1]قسم الفنون، كلية الآداب والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم،(الجزائر) saberhenane@gmail.com

[2] قسم الفنون، كلية الآداب والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم،(الجزائر)، bensahaabdallah66@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2020/12/06
تاريخ القبول:
2020/12/11

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الصناعة،
- ✓ الحرف،
- ✓ الإرث،
- ✓ الثقافة،
- ✓ السياحة.

الملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)

تعد الفنون التطبيقية وبالأخص الصناعات التقليدية والحرف اليدوية ،من أهم الموارد والثروات التي يمكن استغلالها في تنمية الدخل القومي للدول العربية, وذلك باستغلالها لتطوير القطاع السياحي الذي تمتلك أهم مقوماته الجغرافية, الاجتماعية, الثقافية والحضارية, حيث وُفقت بعض هذه الدول إلى حد بعيد في الوصول إلى تثمين الدور الريادي الذي يجب أن تلعبه الصناعات التقليدية ،وذلك بتنفيذ خطط تنموية شملت كل القطاعات المرتبطة بها ،كالمحافظة على الإرث المعماري والثقافي والوصول إلى رسم صورة مميزة للدولة أو المدينة على غرار مدينة فاس, لتكتسب صبغة حضارية خاصة بها تكون بفضلها من أهم المزارات التي تجلب السواح من كافة أقطار العالم .

Article info

Received
2020/12/06
Accepted
2020/12/11

Keywords:
- ✓ *industry,*
- ✓ *crafts,*
- ✓ *heritage,*
- ✓ *culture,*
- ✓ *tourism.*

Abstract : (not more than 10 Lines)

Enter Applied arts, especially traditional industries and handicrafts, are among the most important resources and wealth that can be exploited in developing the national income of Arab countries, by exploiting them to develop the tourism sector, which possesses its most important geographical, social, cultural and civilizational components, as some of these countries have largely agreed to reach Appreciating the pioneering role that traditional industries should play, by implementing development plans that included all sectors associated with it, such as preserving the architectural and cultural heritage and reaching a distinctive image of the state or city similar to the city of Fez, so that it acquires a civilized character of its own, and becomes one of the most important attractions that bring Tourists from all over the world.

المؤلف المرسل : صابر هنان

1- مقدمة:

ساهمت الفنون التطبيقية منذ القدم في دعم الإنتاج المحلي للمجتمعات وتحسين مستوى المعيشة, أما اليوم فهي تلعب دورا جوهريا في دعم احد أهم القطاعات الاقتصادية الحديثة والمتمثلة في السياحة.[1]

ورغم الأهمية التي أصبحت الدول العربية توليها لقطاع الحرف والصناعات التقليدية من خلال توفير الإمكانيات التي من شانها الدفع بها قدما نحو الأمام ،إلا أن تفعيل وترقية قوتها التنافسية لخدمة الإنتاج المحلي والسياحة بأنواعها، مازال قاصرا لا سيما إذا ما قارنا تجربة بعض الدولة التي قد تتشابه معا في العوامل البيئية والاجتماعية، ورغم إمكانياتها المادية المحدودة إلا أن تأثير الصناعة التقليدية والحرفية في دعم القطاع السياحي واضحا واقرب مثال نجده جليا في التجربة المغربية.

وتعتبر السياحة التي تعتمد على الثقافة صناعة هامة في الكثير من الدول العربية، ليس فقط من ناحية التأثير الايجابي على الدخل القومي للدولة؛ بل في التقارب بين الشعوب والتعرف على حضارات وثقافات وعادات وتقاليد وتراث وفنون دول وشعوب أخرى، وتعتمد السياحة الثقافية على زيارة السياح للمواقع الأثرية والمعالم التاريخية والمتاحف، والتعرف على الصناعات التقليدية وزيارة الأسواق والورشات الخاصة بها، وحضور الفعاليات الثقافية، ومع تطور مفهوم السياحة الثقافية وجدت منتجات جديدة كالمدن والقرى الثقافية والتراثية التي تجذب أعدادا كبيرة من السياح.

وشهدت السنوات الأخيرة ازدهارا ملحوظا في تطور صناعة السياحة الثقافية في الوطن العربي، حيث تمتلك الدول العربية مقومات سياحية مهمة كالمواقع التراثية والأثرية والدينية والطبيعية المتميزة على مستوى العالم. وساهمت الاستثمارات الهائلة في البنية التحتية في دعم هذه الصناعة، مما يؤكد قناعة الدول العربية بأن السياحة مصدر دخل، في حال ازدهارها ونموها[2]، إلا أن هناك مشاكل جمة تعيق تطوير السياحة في الدول العربية، والسياحة الثقافية بشكل خاص، تكمن في تأثر السياحة بالتوجهات السياسية والأمن السياحي والقدرات البشرية الملائمة، وضيق القوانين والتشريعات التي تسهم في تشجيع السياحة الثقافية، لذلك لا بد من فصل السياسة عن السياحة، وكذلك تطوير القوانين والتشريعات التي تشجع على تطوير السياحة الثقافية، أيضاً لابد من تهيئة القدرات البشرية الوطنية المدربة لتلعب الدور الرئيسي في الترويج للسياحة الثقافية، وفتح مجال الاستثمار فيها لضمان الازدهار والنمو الذي ينعكس بدوره على الاقتصاد الوطني.

2- تعريف الصناعات التقليدية :

إن أول ما يستوقف أي باحث في مجال الصناعات التقليدية هو قضية التسمية والتعريف إذ في كثير من الأحيان يمزج بين مفاهيم الصناعة اليدوية والصناعة التقليدية والصناعة الحرفية فالاختلاف يكمن في الأصناف المختلفة لهذه الصناعات, وطبيعة البيئة الممارسة عليها فحسب الدراسات المتعددة والمعمقة التي قامت بها جهات مختلفة ،لا يوجد تعريف واحد للصناعات التقليدية لاختلاف الاستعمالات التي توجد من اجلها التعاريف [3]،ومن بين التعاريف الشائعة أنها جميع الأنشطة المنفصلة عن

قطاع الفلاحة وغير الصناعية،أو هي جميع الصناعات التي ترتكز على التقنيات التقليدية وهذا بالنسبة للتقنيات الحديثة التي تخص قطاع الصناعة، أيضا هي احد فروع الأنشطة الإنسانية التي ترتكز على المعدات كوسيلة أساسية للعمل ،والتي تستخدم دائما الطاقة الإنسانية [4] ،وحسب وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية بالجزائر فان الصناعات التقليدية والحرف هي كل نشاط إنتاج أو إبداع أو تحويل أو ترميم فني أو صيانة أو تصليح أو أداء خدمة يطغى عليها العمل اليدوي [5].

3- الثقافة وعلاقتها بالسياحة والصناعات التقليدية :

لمعرفة علاقة السياحة بالصناعات التقليدية، لابد من الوقوف على مفهوم الثقافة، وفقا للجانب الذي نركز عليه من ظاهرة الثقافة بمختلف تعريفاتها، فالثقافة كنسق اجتماعي، تشمل القيم والمعتقدات والمعارف والفنون والعادات والممارسات الاجتماعية والأنماط المعيشية، وصلة هذه المقومات بالحرف التقليدية والسياحة لا تحتاج إلى دليل, والثقافة بوصفها انتماء تعبر عن التراث والهوية، وطابع الحياة اليومية للجماعة الثقافية، وتعد الحرف التقليدية من أهم العناصر الفعالة التي تستطيع الحفاظ على هذا التراث، والثقافة بوصفها تواصلاً، تنقل من خلالها أنماط المشغولات وأشكال العلاقات بين المنتج والمستهلك، وكذلك الخبرات والمعاني بين مختلف الأجيال, والثقافة أخيراً تحفز الابتكار والإبداع والتجديد وتلبية متطلبات رغبات المجتمع الذي يتوق الى كل جديد.

تعريف السياحة:

يقول جيرار غيبيلاطو [6] الخبير والكاتب السويسري المختص في السياحة:"إن أول صعوبة لمن يريد دراسة السياحة هو تعريفها" فلكل باحث زاوية نظر فمنهم من ينظر إلى السياحة كظاهرة اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية ،ومنهم من يعتبرها أساس لتنمية العلاقات الدولية والإنسانية والثقافية والرياضية، وآخرون يطلقون على السياسة صناعة القرن العشرين أو الصناعة المركبة والمتداخلة، أو صناعة بدون دخان ،أو غذاء الروح أو بترول القرن العشرين. [7]

1-السياحة لغة: تعني التجوال من مكان إلى آخر, وعبارة ساح في الأرض، تعني ذهب وسار على وجه الأرض [8].

2-السياحة اصطلاحا: يعرف مجموعة من المختصين السياحة على أنها مجموعة من العلاقات والأعمال التي تكونت بسبب التنقل وإقامة الإفراد في غير مساكنهم المعتادة حيث أن هذا النشاط لا يدخل في إطار النشاط الإنساني المربح . [9]

ويعرف الجغرافي الفرنسي ميشود السياحة على أنها تضم مجموعة نشاطات إنتاج واستهلاك، تستلزم تنقلات خاصة بها خارج مقر السكن اليومي ليلة على الاقل حيث سبب الخروج هو التسلية, الأعمال, الصحة, اجتماعات مهنية, دينية, رياضية... [10]

3- العلاقة بين نشاطي الصناعات التقليدية والسياحة:

يلعب قطاع الصناعة التقليدية والحرف دورا مهما في تحسين المداخيل السياحية فالسائح دائما يبحث عن اخذ منتوج تذكاري يعكس ثقافة البلد الذي زاره فمن المعلوم ان تطور المداخيل السياحية مرتبط بتطور توافد السياح الأجانب[11]، وعليه لابد من وجود استراتيجيات وخطط على المستويين المتوسط والبعيد والبحث عن أنجع الطرق لاستغلال هذه العلاقة ، وتوظيفها لإنشاء قطاع سياحي قوي من شانه رفع الدخل القومي ودعم الاقتصاد الوطني.

4- تأثير الصناعات التقليدية على السياحة في الوطن العربي:

تزخر الصحاري العربية بتنوع وثراء من حيث الصناعات التقليدية التي كانت تعبر عن أسلوب حياة البدوي في الصحراء، وهي متنوعة من حيث مصادرها النباتية، أدوات زراعية صواني وأطباق، أو زراعية كالصابون وزيت الزيتون والحلويات وطحن الحبوب، أو الحيوانية من شعر الماعز وصوف الأغنام والبسط والسجاجيد أو صناعات جلدية مختلفة أو صناعات ذات مصدر معدني كالأدوات النحاسية[12]، أما من الجانب الطبيعي يتميز الوطن العربي بأهمية كبيرة في المجال السياحي نظرا للتنوع الجغرافي بين صحراء وتل وجبال وغابات وشواطئ، بالإضافة إلى الثراء الثقافي والديني والاجتماعي من آثار حضارية ودينية متنوعة وصناعات تقليدية تبرز أصالة وعراقة الإنسان العربي، وكذا عوامل أخرى كمناطق العلاج الطبيعي والمدن الحديثة والإمكانيات السياحية الكبيرة، التي جعلت من الوطن العربي أهم المزارات العالمية.

5- أهمية الصناعات التقليدية في النهوض بالقطاع السياحي" مدينة فاس نموذجا" :

يمكن القول أن التنمية السياحية يقصد بها تنمية مكونات المنتج السياحي وبوجه خاص في إطاره الحضاري والطبيعي أو بمعنى آخر تنمية الموارد السياحية الطبيعية والحضارية ضمن مجموع الموارد السياحية المتاحة للدولة والمنطقة، ويرتبط اسم مدينة فاس، العاصمة العلمية للمملكة المغربية، بازدهار وتطور الحرف التقليدية وغناها وتنوعها وتعددها عبر المراحل التاريخية، وتعتبر مدينة فاس من أهم العواصم الثقافية على صعيد بلدان العالم العربي والإسلامي، فقد شكلت هذه المدينة ذات الرصيد الحضاري الغني، والتجربة التاريخية العميقة، واحدة من أهم القلاع الحصينة التي ترعرعت ونمت فيها الحرف التقليدية بكل أنواعها وأشكالها، في أحضان مخزونها الثقافي وتراثها العريق، الذي كان نتيجة تراكمات حضارية لهذه المدينة الضاربة في عمق التاريخ، منذ تأسيسها مع مطلع القرن التاسع للميلاد أين ظهرت بمستوى إبداعي كبير في مختلف مجالات الحرف، حافظ على نفسه في معترك التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،التي طرأت عليها وعلى أهلها[13]، واليوم، وإضافة إلى القيمة الثقافية التي تنطبع بها الحرف التقليدية من حيث هي إبداع إنساني جدير بالتأمل والانتباه والمحافظة، ارتبطت هذه الحرف بالنشاط الاقتصادي السياحي للمدينة، وتقاطع مطلب تطويرها مع آفاق التنمية المحلية والوطنية.

ونتيجة لما تزخر به مدينة فاس، وما تتوفر عليه من إمكانيات ثقافية سياحية مهمة، فقد تم تصنيفها من طرف منظمة اليونسكو، كتراث إنساني عالمي سنة 1980، وذلك كأول موقع ثقافي مغربي، وقد نتج عن هذا الإعلان بداية الشروع في انقاد المدينة العتيقة، والذي بدأت تظهر آثاره في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياحية، كما ساعد هذا التصنيف على إعطاء مدينة فاس مخططا دائما للإنقاذ وإعادة الاعتبار، ووفر لها عناصر دعم إضافية على الواجهة السياحية، لتصبح قبلة للزوار من كل أنحاء العالم.

لا بد من الإشارة إلى أن تهيئ مخطط الإنقاذ تطلب تكاثف جهود كل القوى الفاعلة، الفنان والمثقف، والفندقي و الكاتب، والرسام و الجمعيات المحلية، والمستثمر السياحي والتاجر، والمرشد السياحي إلى الجغرافي، والمختص في الشؤون الاقتصادية، وهكذا تمكنت هذه النخبة من المزاوجة بين تاريخ المدينة وحاضرها مع ضرورة الحفاظ على الخصوصيات المعمارية والثقافية. وبتكاتف جهود هذه النخبة من الخبراء والمهتمين، ومع المخطط الثقافي السياحي الجديد للمدينة، والذي سرعان ما أثر إيجابيا في تطور العديد من المجالات الاجتماعية الاقتصادية، كما منح للمدينة إشعاعاً قويا مكنها من أن تصبح أحد الأقطاب السياحية المهمة في المغرب.

وبما أن التراث الثقافي لمدينة فاس قد أصبح تراثا إنسانيا عالميا، فإن هذا الوضع أهله للاستفادة من آفاق سياحية إضافية، والحصول على الدعم والتمويل من المؤسسات والمنظمات الدولية المختصة لترميم وتأهيل بنياتها الثقافية، بما فيها ورشات الإنتاج الحرفي الفني، وينتظر أن تشكل هذه المبادرات لبنة جديدة لإشعاع حضاري إضافي ومتواصل[14].

إن من أهم العوامل التي ساعدت على النهضة السياحية في المغرب عموما وفي مدينة فاس خصوصا، هو الإرادة الشعبية ومن خلفها القرارات السياسية التي تلعب دورا مهما في إمكانية التغيير والذي لا يكون إلا بالمبادرة واتخاذ التدابير التي من شانها إعطاء الصناعات التقليدية والتراث المعماري مكانة مرموقة، أدت إلى محافظة المدينة على وجهها التاريخي، وكأنك حين تتجول في أزقتها العتيقة وأسواقها التي تعج بالحرفيين المهرة وهم يبدعون في صناعة أجمل التحف الفنية، قد سافرت عبر الزمن لتعانق التاريخ ،وتعيش عبق الماضي حيث كانت الحضارة الإسلامية في أوجها.

وللحفاظ على هذه المكتسبات كان لابد من إحداث مجموعة من المؤسسات العمومية والوكالات، مثل الصندوق الوطني للعمل الثقافي, وكالة التخفيض من الكثافة السكانية وإنقاذ مدينة فاس, المركز الدولي لإنعاش الصناعات التقليدية، وأخيراً وكالة التهيئة والعمران، كمحاولة من الجهات الرسمية لوضع إطار إداري ومؤسساتي يشرف على إنقاذ المدينة العتيقة، وترميم المآثر والمؤسسات الثقافية والاجتماعية المتواجدة بها، وتحسين المرافق والبنيات التحتية، والعمل على تنسيق الجهود لإحياء الأدوار الطلائعية التي لعبتها المدينة.

6- الخاتمة :

رغم المجهودات التي تقوم بها بعض الدول العربية للنهوض بالسياحة عن طريق تطوير الفنون التطبيقية عامة والصناعات التقليدية خاصة، إلا أنها تبقى عاجزة وغير كافية حيث نلمس العديد من العوائق التي تقف دون الوصول إلى الأهداف المنشودة، و من بينها:

- عدم مزاولة العمل الحرفي بعد التخرج من مدارس الفنون الجميلة ومراكز التكوين المهني نظرا لضعف التمويل.
- نقص الورشات والمعارض التي تساهم في عملية الترويج لرفع مستوى الدخل.
- إهمال الطابع المعماري المحلي مما جعل مدننا غريبة عنا بمعنى مدنا بلا هوية.
- عدم فعالية مراكز التكوين, والعزوف عنها من طرف الشباب بسبب الحالة المادية السيئة لمعظم الحرفيين.
- عدم تحقيق التكامل بين مراكز التكوين والقطاعات الاقتصادية الأخرى قصد تكوين يد عاملة مؤهلة.

وللنهوض بالسياحة لابد من تشجيع وتطوير الفنون التطبيقية والصناعات التقليدية ولذلك اقترح جملة من الحلول:

- لا بد من التنسيق بين مراكز التكوين المهني ومدارس الفنون الجميلة من جهة، والجامعة من جهة أخرى.
- تنمية الوعي الشعبي للإحساس بالمسؤولية, واعتبار ذلك مشروع دولة.
- تنظيم المعارض و الورشات وإنشاء الأسواق قصد الترويج للفنون التطبيقية والتعريف بها.
- إعادة الهوية المعمارية للمدن وترميم الآثار لأنها العامل التاريخي الذي يستهوي السائح.
- توفير المادة الأولية.
- دراسة سوق العمل في الميدان لتكوين اليد العاملة حسب الحاجة.
- إعطاء قيمة معنوية للفنان والحرفي، وخصه بامتيازات كحرية السفر لاكتساب الخبرات وهذا ما تطبقه عدة دول.
- إقامة نظام شراكة بين مؤسسات التكوين وسوق العمل.

وعليه لابد من إنشاء منظومة متكاملة حيث تظهر خصوصية كل منطقة بعمارتها وصناعتها التقليدية وخدماتها وأخلاق مواطنيها ووعيهم وحسن ضيافتهم. ولعل أحسن مثال على ذلك مدينة فاس المغربية التي أُعطيت فيها الأهمية القصوى للفنون التطبيقية بأنواعها أين اندمجت العمارة المحلية العريقة بالصناعات التقليدية والحرف الفنية فصنعت نموذجا سياحيا متكاملا اكسب هذه المدينة الصبغة التاريخية والشهرة العالمية فاصبحت من أهم المزارات السياحية في العالم.

وأخيرا فان كل هذه المعطيات تفرض علينا طرح مجموعة من الأسئلة :

لماذا لا تقتدي الدول العربية الأخرى بالمغرب في هذا المجال ؟ علما إنها ربما قد تفوقها من حيث الإمكانيات المادية، والطاقات البشرية ,ولماذا لم تكن جهود الدول ناجعة ؟

هل هو سوء التسيير أم ضعف التخطيط ؟

7- المراجع:

[1]–شريفة طيان, اشراف د.صالح بن قربة, الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني, دراسة اثرية فنية, اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية ج1, معهد الاثار جامعة الجزائر, 2007–2008

[2] السياحة الثقافية ،مقال لخالد عبد الرحيم السيد ،مجلة الشرق الالكترونية ،2015/10/22 https://al-sharq.com/.

[3] دور التسويق السياحي في انعاش الصناعة التقليدية والحرفية دراسة ميدانية حالة م غرداية ،الطالب شنيني عبد الرحيم, الاشراف شريف نصر الدين، ص12 .

[4] وهراني عبد الكريم الصناعات التقليدية والحرفية بين الاقتصاد الرسمي والاقتصاد غير الرسمي، دراسة حالة مدينة تلمسان، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2007، ص82

[5] مدونة النصوص القانونية والتنظيمية الخاصة بقطاع الصناعات التقليدية 2005.

[6] Gerard Guibilato, economie touristiqque, ed.delta et spes, 1983, p10.

[7] دور التسويق السياحي في انعاش الصناعة التقليدية والحرفية دراسة ميدانية حالة م غرداية, الطالب شنيني عبد الرحيم, الاشراف شريف نصر الدين, ص05.

[8] توفيق ماهر عبد العزيز, صناعة السياحة, دار وهران, عمان, 1997, ص22.

[9]Ahmed Tissa, economie touristiqueet amenagement du teritoire, opu Alger, 1994.

[10] JP Lo zato, geographie de tourisme, Masson, Paris, 1990, p13.

[11]سهيلة عبد الجبار،احاجي كريمة،واقع الصناعة التقليدية الحرفية بين قصر النظر التسويقي وحدة المنافسة،جامعة بشار،ص52.

[12]عبيدات سليمان ،التطور الحضاري لفضاء بني كنانة في محافظة اربد،جمعية عمال المطابع التعاونية ،عمان ،1984،ص37.

[13]أحمد الهشميوي،التراث الثقافي والسياحي بمدينة فاس ،مقال منشور في جريدة الاتحاد الاشتراكي (المغرب) 2006/02/11م.

[14]امين بن عبد الله،تفاعل الحرف التقليدية على المستوى الثقافي والتراثي،مقال نشر يوم2010/06/24،منتديات ستار تايمز ، https://www.startimes.com/